1

الفصل الأول

تاريخ الدولة الإسكانية

نبذة جغرافية

نبذة جغرافية:

تقع إيران في الجزء الجنوبي الغربي من قارة آسيا تقريباً، وتعد الحد الشرقي للبلاد العربية في العراق، وتمتد شمالاً إلى حدود أذربيجان وبحر الخزر (قزوين)، وجنوباً يحدها الخليج العربي وبحر عمان وجنوباً بلاد الهند والمحيط الهندي،أما شرقاً فيحدها بلد الهند وجبال الهندكوش ومن الشرق يعد نهر جيحون الحد الفاصل بينها وبين بلاد الترك (1).

وكانت إيران في الماضي تمتد إلى مساحة أوسع مما هي عليه الآن، فكانت تشمل كل بلاد خراسان في العصر الإسلامي، ولكن الحال تغير اليوم، فهي هضبة مرتفعة، يبلغ ارتفاعها قرابة ال4000 قدم فوق سطح البحر، وتحيط هذه الهضبة جبال عالية من كل جانب تقريباً، ففي الشرق تحدها سلاسل جبال سليمان، وفي الغرب تحدها جبال زاجروس، ومن الشمال جبال البرز وتمتد من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب تشكل المرتفعات الجنوبية الممتدة بموازاة الخليج العربي حداً جنوبياً لها، وتعد هذه الجبال أشبه بحماية طبيعية لبلاد إيران (2)

تقع هضبة إيران الشبيهة بالمثلث بين وادي نهر السند شرقاً ووادي نهر دجلة غرباً وهي محصورة بين منخفضين مائيين هما بحر قزوين في الشمال والخليج العربي جنوباً، وتنقسم بلاد إيران إلى مناطق عديدة أو أقاليم منها إقليم الجبال الذي تشرف جباله الغربية على سهول العراق، ويعد من أخصب المناطق في إيران في الماضي والحاضر ومن أهم مدنه كرمنشاه وهمدان والري التي تقع شمال مدينة طهران الحالية واصفهان والدينور وقم وقاشان (3)

وتخرج من إقليم الجبال انهار عديدة أعظمها نهر دجيل وهو الذي يعرف اليوم بنهر الكارون الذي كان يصب في السبعينات والثمانينات من القرن الماضي في نهر شط العرب.

والى جنوب إقليم الجبال يقع إقليم الاحواز ويعرف ايضاً بإقليم عربستان وتسميه إيران اليوم بإقليم خوزستان، ويعد إقليم عربستان امتداداً طبيعياً لحدود العراق الجنوبية، وتقطنه قبائل عربية هي نفس قبائل جنوب العراق، وعاصمة هذا الإقليم الأحواز، وكان يعرف بالماضي باسم عراق العجم وعاصمته عراق، وتسمى اليوم أراك، ويتخله عدد من الانهار

منها نهر ديزفول والكرخة والعمية، وكان من أخصب أراضي إيران ولا يزال، ومن أهم مدن هذا الإقليم مثل: مدينة ديزفول وعسكر مكرم وتستر والبسيتين، وتتخلله في الجهة المقابلة للبسيتين المجاورة لحدود العراق الحالية، تلول الله أكبر، وسوسة التي تعرف بالشوش (4)، في الوقت الحاضر.

وإلى الشرق من إقليم عربستان يقع إقليم فارس وإليه ينتسب الفرس، وكانت تسمى في الماضي ببلاد برسيس الذي كان مهد الاسرة الفارسية الإخمينية (مملكة فارس القديمة) ومن أهم مدن هذا الإقليم مدينة شيراز وارجان واصطخر ودارابجرد وتوجد فيه بحيرة مالحة تعرف ببحيرة بختيكان وجبال هذه المنطقة هي امتداد لجبال إقليم الجبال السابق ذكره ومتشعبة منه (5).

وإلى الشرق من إقليم فارس يقع إقليم كرمان، وهو أقل انتاجاً من إقليم فارس لخلوه من الانهار ولانتشار الصحاري فيه ومن اهم مدن هذا الإقليم كرمان عاصمة هذا الإقليم ومدينة الشيرجان، ومدينة بردسير وبم ونرماسير وجيرفت (6). ويتعرض هذا الإقليم دوماً إلى زلازل مميتة كان آخرها قبل سنوات، حيث دمرت مدن وقرى الإقليم وتركت الآلاف من المشردين.

ثم إقليم مكران المتاخم لبلاد الهند قرب وادي نهر الانديز، والذي يسمى قسماً منه اليوم بإقليم سجستان، وتقع في هذا الإقليم بحيرة زرة الواسعة والضحلة المياة، وكان هذا الإقليم مقراً للدولة الصفارية التي اتخذت من مدينة زرنج عاصمة لها (7). وتصب في هذه البحيرة مياه نهر هلمند الي ينبع من بلاد الغور في وسط أفغانستان الحالية، ومن اهم مدن هذا الإقليم مدينة بست وقرنين، والى الشمال الغربي من بحيرة زرة يقع إقليم الجبل ويدعي بِـ قوهستان أي بلاد الجبل، ومن أشهر مدنه أتون وقاين (8). ثم يأتي إقليم قومس ومركزه مدينة الدامغان وتنتشر فيه الأراضي الصالحة للزراعة وخاصة سفوح الجبال التي تشكل مراعي طبيعية، والسفوح التي تنتشر فيها مختلف أنواع الاشجار المثمرة وتنتشر الأودية والجداول والأنهار في هذه المناطق (9). أما إقليم خراسان (وتعني مطلع الشمس) (10)، فمن أهم مدنه هراة ومرو ونيسابور ومرو الروذ وبلخ الجوزجان والصغانيان وتجري فيه أنهار مهمة مثل نهر مرو (مرو آب) ونهر هراة (هري رود)، وتعد هذه المنطقة من المناطق الخصبة والنشطة اقتصادياً وتنتشر فيها حرف وصناعات مهمة منذ قديم الزمان (11).

إن هذا التنوع الجغرافي والطبيعي والاختلاف المناخي قد منح بلاد إيران دافعاً اقتصادياً مهماً فوجود السهول الخصبة والمراعي في الجبال والمياه فضلاً عن انتشار المعادن التي أتاحت فرصة جيدة للنشاطات الاقتصادية، فكانت من أسباب تقدم الصناعة والزراعة في إيران (12).

وتسمى إيران أيضاً ببلاد فارس، وترجع تسمية إيران إلى الكلمة (أريا (Airiyaوتعني بلاد الآريين، ومنها أخذت الكلمة الجنسية والجغرافية لإيران الحالية (أريا ـ إيران)، ووردت هذه الكلمة في (الأفستا) أو (الأبستاق) التي تشير إلى بلاد الآريين، ومنها جاء اسم ملوك إيران (آريا ـ مهر) التي تعني حامي الآريين، ويبدو أن هذا المصطلح قد ظهر في العهد الفارسي الأخميني، إذ ورد ذكرها في التراتيل الدينية والصلوات في كتاب الأفستا (13)، وقد تسمى بهذا اللقب شاه إيران السابق محمد رضا بهلوي،فكان يطلق على نفسه الشاهنشاه آريا مهر.

أما كلمة فارس فهي مشتقه من اسم إحدى القبائل الإيرانية الكبيرة، التي استوطنت بلاد إيران منذ الألف الأول ق.م، وهذا المصطلح نجده فقط في المصادر العربية والمصادر الغربية التي ربما انتقل إليها من كتابات المؤرخين العرب وكذلك الجغرافيين العرب، وهي في الأصل تعود إلى الكلمة الفارسية (برسا) (Parsh) ورددتها المصادر الغربية تحت كلمة (14) (Persia)

تاريخ الدولة الاشكانية (الفرثية):

قيام الدولة الفرثية:

ينحدر الفرثيين من قبيلة السِكَ (Saka) وأول من حكم من الموك الفرثيين (Arsacids) هو أرشك الأول Arsaces الذي حكم من عام (236-256ق.م)، وقد قاد هذا الملك الثورة ضد الحاكم السلوقي، واستطاع السيطرة على إقليم بارثاوا (15) Parthava، ويبدو أن هذا الملك قد عمل على تنظيم أمور الدولة، وقضى على الحركات المناوئة له في المنطقة، وبالأخص محاولات الدولة السلوقية لإستعادة سيطرتها على إيران.

رفع أرشك الأول Arshak I زعيم الفرثيين علم الاستقلال في برثو Parthave (خراسان الحالية)، فقام بعدة تحركات ضد الحكم السلوقي، وعقد تحالفات جديدة، ساعدت قبيلته على السيطرة على منطقتهم، ثم تمكن من خلالها من إخضاع كل بلاد خراسان (16)، لنفوذه

خلال السنوات (247-250م)، وتمكن من قتل الحاكم السلوقي، بعد أن رأى الضعف الذي حل بالفرثيين، واستقلال أقليم بكتريا (بلخ) عن الحكم السلوقي، وأعلن قيام الدولة الفرثية في سنة 247ق.م. لكن هذا الملك أرشك الأول قتل في إحدى المعارك مع الباكتيريين (بلخ)، وتخليداً لذكرى مؤسس الدولة الفرثية أو الاشكانية، فقد كان معظم الملوك الفرثيين، يضعون اسم أرشك أمام أسمائهم مع تسلسل الملك الجديد (17).

وتولى حكم الدولة الفرثية بعده أخوه الملك تيرداد الأول Tiridad I (214-247 ق.م)، وتلقب باسم الملك أرشك الثاني، وهو كما تذكر المصادر أول من تلقب بلقب شاهنشاه (ملك الملوك) في إيران، وهذا الملك بحق يعد المؤسس الحقيقي للدولة الفرثية، وتمكن من إخضاع كل إيران بسرعة غير معهودة، وتمكن من طرد الحكام السلوقيين من غربي إيران إلى مناطق الجزيرة الفراتية وبلاد الشام (سوريا)، وأن يكونوا لهم حكومة في إيران، بعد أن شاهد ضعف الملك السلوقي سلوقس الثاني (226-246ق.م)، وإنشغاله بالمشاكل الداخلية في الدولة السلوقية، وحروبه مع البطالمة في مصر، فوسع حدود الدولة الفرثية باتجاه الغرب، فسيطر على هيركانيا (جرجان) وزدرآكارتا (أستر آباد) (18)، وهنا يتبين لنا جهود الملك الفرثي أرشك الثاني في دعم الحكم وتثبيت أركان المملكة (19).

وبعد أن تمكن الملك السلوقي من ضبط أوضاع بلاده في الغرب، توجه للقضاء على الفرثيين، فتحالف مع ملك باكتريا (بلخ)، وأعد جيشاً كبيراً لكن الملك الفرثي تيرداد الأول انتصر على هذا الجيش المتحالف، واضطر سلوقس الثاني إلى العودة خائباً إلى سوريا، فاستغل الملك الفرثي ذلك، وضبط أمور بلاده ووسع من مملكته (20)، ونقل العاصمة الفرثية إلى هيكاتومبيلوسHecatompylos (قومس) (21)

وخلف الملك الفرثي تيرداد الأول في حكم الدولة الفرثية ابنه الملك أردوان الأول (أرطبان الأول) Artaban I (196-214ق.م)، وقد سار هذا الملك الفرثي على خطى والده في توسيع المملكة الفرثية، فتمكن من السيطرة على إقليم ميديا (ماذي،ماذ) (22).

لكن هذا الحال لم يدم بشكل كامل للدولة الفرثية الفتية، فجاء الملك السلوقي أنطيوخوس الثالث Antiochus III (187-223ق.م) خلفاً للملك السلوقي الضعيف سلوقس الثالث Seleucus III (223-226ق.م)، فاستطاع هذا الملك من قيادة حملة عسكرية سلوقية كبيرة، سيطر بها على عاصمة الفرثيين هيكاتومبيلوس (قومس) سنة 209ق.م، وأجبر ملك

الفرثيين الذي فرّ إلى العاصمة السابقة هيركانيا (جرجان) على الإعتراف بتبعيته للملك السلوقي وللدولة السلوقية (23).

ودخل الملك السلوقي في حروب خاسرة مع البطالمة والمقدونيين والرومان، سنة 190ق.م، وفرضوا عليه غرامة حربية فضلاً عن خسرانه لكثير من ممتلكاته في مختلف المناطق التابعة له.

ونتيجة للضعف الذي حلّ بالدولة السلوقية، انتهز الملك الفرثي مهرداد الأول (138-174ق.م) الفرصة فسيطر على مملكة بكتريا كما ضمّ منطقة ميديا إلى دولته، وفي سنة 143ق.م هاجم الملك السلوقي ديمتريوس الثاني (138-146 Demterius IIق.م)، وانتصر عليه، وسيطر على منطقة بابل في العراق، وأسر الملك السلوقي نفسه (24)

وسجنه في هيركانيا (جرجان وعامله باحترام وزوجه بإحدى بناته وظل هذا الملك في ضيافة الدولة الفرثية قرابة 20سنة، ويبدو أن الملك الفرثي أراد بهذه المعاملة والاحترام والتقدير للملك السلوقي، أن يأمن جانب السلوقيين، ليتفرغ لإدارة شؤون بلاده وتنظيم أمورها الداخلية (25)، وبذلك أصبحت الدولة الفرثية تمتد من مملكة باكتريا شرقاً إلى نهر الفرات غرباً ومن بحر الخزر (قزوين) شمالاً إلى الخليج العربي جنوباً (26) واتخذ الملك الفرثي مهرداد الأول، من المدائن (طيسفون) عاصمة له، وقد بنيت هذه المدينة على الضفة الشرقية لنهر دجلة، قبالة مدينة سلوقية (27)، كما تمكن الملك مهرداد الأول من إخضاع عدد من الحكام والمناطق التي يسيطرون عليها للدولة الجديدة وعرف هؤلاء الملوك بملوك الطوائف (28).

إذن رأينا أن الدولة الاشكانية نشأت في خراسان منذ عهد الملك السلوقي أنتيوخس الثاني، وارتقى أمرها سريعاً، وبلغت من القوة حداً أن تمكنت من السيطرة على كل إيران وأن تنتزعها في عهد ملوكهم (مهرداد الأول، أرشك السادس، وفرهاد الثاني، أرشك السابع)، وأن تمنعهم من التفكير في العودة للسيطرة على إيران، وأن تكف يدهم عنها، وبقيام هذه الدولة إنتهى حكم اليونانيين في إيران، وكان آخر ملك سلوقي يحكم قسماً من إيران الغربية هو أنتيخوس السادس، والذي طوي بساط حكمه عام 129ق.م على يد الملك الأشكاني فرهاد الثاني (29).

وهنا نقف على أهمية الخدمة التي أداها الفرثيون للإيرانيين، فهم لم يحرروا إيران من قيد السلوقيين فحسب، ولم يكونوا إمبراطورية قوية فحسب، بل جاهدوا الرومان ببسالة وتصدوا لجيوشهم القوية والمنظمة وهزموهم أكثر من مرة واستولوا على أملاكهم (30)

وظلت فكرة إعادة إيران إلى الحكم السلوقي تراود الملوك السلوقيين ففي سنة 130ق.م قاد الملك السلوقي أنطيوخوس السابع Antiochus VII (128-137ق.م) جيشاً صوب بلاد الجزيرة وبلاد بابل، ولتخليص أخيه ديمتريوس الثاني من الأسر ودحر الملك الفرثي، فرهاد الثاني Phraats II (125-138ق.م)، وواصل تقدمه حتى وصل إلى مدينة أكبتانا Ecbatana (جرجان)، وعرض الملك الفرثي عقد صلح بين الجانبين، إلا أن الملك السلوقي فرض شروطاً قاسية على الفرثيين، ففكر الملك الفرثي في إشغال الفرثيين بحرب داخلية، فأطلق الملك الفرثي الأسير لديه، وهو زوج ابنته أيضاً، وهو ديمتريوس الثاني من الأسر، وهذا ما تمّ بالفعل، فتصارع الأخوين على العرش، وجنت الدولة الفرثية الربح، في سنة 128ق.م، إذ جرت الحرب، وقتل الملك السلوقي أنطيوخوس السابع، وكان من نتيجة هذه المعركة أن أصبحت بلاد بابل ضمن ممتلكات الدولة الفرثية (31)

ولم يكتف الملوك الفرثيين بهذه النجاحات ضد الدولة السلوقية فحسب، بل عملوا على إضعافها بمساندة ظهور دول متعددة في بلاد الشام (سوريا) ففي سنة 130ق.م قامت في مدينة أودسا (أدسا) Edessa الرها) مملكة أسروهيني Osrohene بتأييد من الفرثيين، كما تمكنت اسرة عربية من تأسيس دولة أخرى في أيميسيا Emesa (حمص) والتي كانت تتبع الفرثيين، وقامت دولة أخرى في منطقة البقاع على أيدي الايتوريين (اعتقد الآشوريين وبقاياهم، والذين نزحوا إلى هذه المناطق بعد سقوط الدولة الآشورية عام 612ق.م)، واتخذت من خاليكس Chalcis قنسرين عاصمة لها (32)

وفي سنة125ق.م اندفعت صوب أراضي الدولة الفرثية قبائل رعوية غير متحضرة، من سكان صحاري بحر قزوين تدعى يوئتشي Yue ñTchi ، فحاول الملك الفرثي أردوان الثاني (أرطبان الثاني) Artaban IIالتصدي لهذه القبائل، إلا أنه قتل في سنة 124ق.م (33).

ثم تولى الحكم الملك الفرثي مهرداد الثاني (88-124ق.م) بعد مقتل والده أرطبان الثاني، فنظم أمور الدولة ,نظم الجيش، وأعد حملة عسكرية كبيرة، استطاع من خلالها الحاق الهزيمة بالأسكيثيين وطردهم عن بلاده (34) وضبط أمور أرمينية (35)، لكن الدولة الفرثية

دخلت في صراع عنيف مع الرومان، كان سببه الأساس هو السيطرة على طرق التجارة مع الهند والصين، واستمر هذا النزاع قرابة القرنين ونصف لكنه لم يؤد إلى نتيجة تذكر، فالحرب المنتصر فيها والمهزوم خاسر.

وكانت بلاد أرمينية هي المسرح في أغلب الأحيان للأسف الشديد وكذلك أرض العراق التي دفع سكانها جزءاً كبيراً من ضريبة الأرض دفعها العراقيين القدماء، جراء هذا الصراع للأسف الشديد، فكانوا يدفعون ثمناً باهضاً جراء مرور الجيش الروماني أو الفرثي في أراضيهم ومزارعهم، فكيف الحال والحرب تجري على أرضهم فتأخذ الرجال تارة بالقتل وتارة بالأسر وهكذا.

ففي فترة حكم الملك الفرثي مهرداد الثاني (88-124ق.م)، أرسل رسالة للقائد الروماني لوسيو سولا (78-93ق.م) يطلب منه عقد صلح بين الدولتين الفرثية والرومانية، وأن تمر التجارات التي هي السبب الأساس للحرب بين البلدين بحرية ومرونة، لكن القائد الروماني رفض هذا العرض المغري الذي قدمه الملك الفرثي، فكانت الحرب التي صححت مفاهيم الرومان، ونبهتهم إلى أن الدولة الفرثية، هي ليست أرمينية التي تجتاحها القوات الرومانية متى شاءت، وتمّ عقد معاهدة صلح بين الطرفين، وقعت قبل وفاة الملك الفرثي مهرداد الثاني، أي قبل سنة 88ق.م، أو تكون قد وقعت من قبل نائب الملك وولي عهده الملك الفرثي فيما بعد سانترويكس (69-76 Sanatroikes ق.م) (36)

وبعد وفاة الملك الفرثي فرهاد الثاني، اضطربت أوضاع الدولة الفرثية، وحدث أن استغل الأرمن هذه الأوضاع لصالحهم ووسعوا من نفوذهم، ثم تولى الملك الفرثي فرهاد الثالث 60-69) Phraates IIIق.م) الذي جدد تلك المعاهدة مع القائد الروماني بومبي (55-70ق.م) (37) . واقنع الملك الفرثي بضرورة التحالف لمحاربة ملك أرمينية، والحقيقة أن القائد الروماني قد خدع الملك الفرثي بما تمّ الإتفاق عليه في بنود هذه المعاهدة التي جددها بومبي مع الفرثيين (38).

ثم توفي الملك الفرثي فرهاد الثالث في سنة 60 ق.م، وحدثت فوضى داخل الدولة الفرثية ونزاع على الحكم بين ولديه مهرداد الأول، وأخيه الأصغر أرد الأول، ثم تمكن أرد الأول Orodes I (37-55ق.م) من تولى الحكم، فحارب الرومان وصحح أفكارهم عن الدولة الفرثية، إذ تلقوا ضربات قاضية أيقظتهم من غفوتهم، فأراد يوليوس قيصر Julius Caesar (44-49ق.م) الاستعداد لحربهم، لكنه قتل قبل أن ينفذ مشروعه ضد الدولة الفرثية (39)

وعندما تولى الحكم ارد الأول وسع من نفوذ بلاده وسيطر على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وسك النقود في هذه المناطق باسمه، إلا أن الرومان هاجموه وأعادوا ما سيطر عليه، وهاجموا الدولة الفرثية من عدة محاور،للسيطرة عليها وإسقاطها، إلا أنهم فشلوا في ذلك وهزموا هزيمة منكرة بالقرب من مدينة تبريز، واضطر القائد الروماني إلى عقد صلح مع الملك الفرثي فرهاد الرابع Phraates IV (37-2 ق.م) **(40)**.

وتم توقيع معاهدة مع الفرثيين، بعد أن اقتنع الإمبراطور الروماني أغسطس Augustus (أكتافيانوس 27ق.م-14م)، بأن السلام هو الحل الأفضل للطرفين المتخاصمين، فتفرغت كل دولة لملاحظة شؤونها الداخلية، وتم توقيع الاتفاقية في العام الأول للميلاد، وهو عام خير وبركة على الدولتين الرومانية والفرثية، ففيه ولد السيد المسيح (في فلسطين ولتوطيد العلاقة مع الفرثيين أرسل الإمبراطور الروماني إحدى الأميرات وتدعى موزا Muse ليتزوجها الملك الفرثي فرهاد الرابع، فأنجبت له فرهاد الخامس **(41)**

وقد اتبع الأباطرة الرومان الذين خلفوا أغسطس نفس السياسة السلمية مع الفرثيين، حتى عهد الإمبراطور تراجان Trajan (98 - 117م) الذي غير من سياسة روما تجاه الدولة الفرثية، إذ استغل الضعف الذي حل بالدولة الفرثية، بعد وفاة الملك الفرثي فرهاد الرابع، لإنشغال الملوك الفرثيين في نزاعهم على الملك، فقاد جيشاً في عهد الملك الفرثي خسرو Khusrau (106-129م)، وسار به وسيطر على معظم مناطق الدولة الفرثية، ووصل إلى الخليج العربي، ثم تمكن الملك الفرثي من استعادة كل الأراضي التي سيطر عليها تراجان، والذي عاد خائباً إلى روما دون أن يحقق أي هدف من هذه الحملة **(42)**

إن حملة تراجان رغم فشلها في تحقيق أهدافها، لكنها كشفت للرومان ضعف الدولة الفرثية، فكان أن كررت حملة تراجان في عهد الملك الفرثي بلاش الثالث (147-191م) فتمكنت الجيوش الرومانية في عهد الإمبراطور الرومانيماركوس أوريليوس أنطونيوس Marcus Aurelius Antonius (161-180م) من تدمير العاصمة الفرثية طيسفون، وتكرر هذا العمل في عهد الملك الفرثي بلاش الرابع (191-208م) وخرب الجيش الروماني طيسفون مرة أخرى، وكان آخر محاولة قام بها الإمبراطور الروماني كركلا Caracalla (211-217م)، والذي استغل الفوضى التي عمت أراضي الدولة الفرثية عقب وفاة الملك الفرثي بلاش الرابع، وظل الوضع حتى تولى الحكم الملك أردوان الخامس)**(43)** أرطبان الخامس Artaban V (208-226م) فارسل إليه الإمبراطور يعلن رغبته في الزواج من ابنته